مفكرة

لانك الغناء والقوافل ونشيد شعبنا المقاتل لبيك يا غسّان

الى الشهيد البطل غسّان كنفاني في ذكرى استشهاده

في لحظة تسترجع فيها لون الوجـــه ولون الصوت ، ولون الارض ، لا يأتيك صوتي غسان ! فعندما يبدأ نشيد الارض ، اصمت ، لا اشهى من الصمت لحظة تمر في الخيال عروسنا السمراء (فلسطين) ...

عائد الى حيفا في ذكراك ((غسان)) ، و ((ام سعد)) اصبحت في طريقها اليك على درب المعذبين حنانا ، عائد من الف رصاصة يتبلج الصباح .

اضيع اشيائي الصغيرة ، الملمها ، احترق ،الرشيدية، البرغلية تحترق ، الملم عن الوجـــوه ((ام سعد)) وارض البرتقال الحزين وابحث في الملاجيء عن لميس ، اجدهـــا تقطن في كل القلوب ، اتدري ؟ لقد كان مذهلا صوت ((نهلة محمد حسن)) ((شهيدة الرشيدية)) الطفله صرخت ، لـم تبك اقسم كانت تعرف انهم (اسرائيليون) لـــم تبك كـــأن شاطيء حيفا كان يراودها ، ((فوالله لا شعب)) ذاك ولا عبادة ، بل هو ولادة تاريخ كامل . قتلوها واقفة . يا لجلال ربوعنا التي تموت واقفة ولن تركع . يا لجلالك وانت تكتب عن الوجه ، اليدين ، العنق ، وتبقى في القلم ، في الهدية ، غسان كنفاني تاريخ الميلاد ، قضية تاريخ الوفاة اول الربيع مكان الولادة لا شيء اقدس من حبيبتي ((القدسية فلسطين)).

انا ولدت لا يهمني في ((شيء معنى المكان)) ، في احدى مخيماتنا ، واذكر وانا صغير كنا نعلق على الخيمه (خريطة فلسطين) وعندما كبرت ، بدأت ارسم على الخارطة صور الشهداء ... ويوم استشهادك لم ارسمك على الخارطةلان الخارطة امتدت الان الى القلب اصبحت اوسع بكثير من حجم بلادنا على الورق فهي الان شيء افتقدناه يجب انيعود ميعادك حبيبتي من النسيان فغسان جزء منك ، ((لا ابوح الا له بالسر)) وسيبقى فيه وصالي وسابقى اشتهي انأصبح تينًا ما على شاطيء حيفا مرميا تدوسه الاقدام ، الوجـد اكبر من الحب والحـــب طريقنا اليك ، يقولون رصاص وقصاص ، واقدم دمي ، اقدمه في كل الذكريات ، غسان ، عبد القادر الحسيني ، ويوم حاولوا ان يقتلوا شعبا كانـــت له دار ، وكان في الحقول يزرع للغد قمحا للفقراء ...

حبذا جرحك يا غسان ، فهو تاريخ يعبر الينا في كل عام املا بعطاء ، فكان مظفر ، وحسين ، وجهاد ، وطـــه الشلبي، وكان في القافله الكثير، وبقيت تمر على كل الوجوه، تمر صباح مساء ، على كل الوجوه .

وترتعد في صوتي قسمات الحـــياة الدافئـــة فاهيـــب نشيدا . ((طوبى للذين يموتون من اجلك يا وطني)) ،طوبى للذين يموتون من اجلك يا وطني ...

تنتحر الان الكلمات . يتوقف تاريخـــك في بصماتي . اصفع كل الذين يحاولون ان يدنسوا ترابك او اخني .

ينتبه الطير من نشيده ، يصفعهم يعود غناءه من جديد ((طوبى للذين يموتون من اجلك يا وطني)) ...

المجد لك! والحرية كل الحرية للفقراء ! الذين استشهدت من اجلهم ، ومهلا حيفا فالقوافل لا بد اتيه في الذكرى .

لنقيم عرسك القديم على رابية هناك اشهى من حبنا ووجدنا ، لانك الغناء والقوافل ، ونشيد شعبنا المقاتـــل سنعود الف لبيك غسان .

خليل اكيوف